

الضياء

(١٣٩)

العقاقير الطبية وضرب بها على سماع العليل فعلت فعل العقار نفسه ولا يخفى ما في ذلك كله . والذي عليه علماء منافع الاعضاء اليوم ان النعم لا يخلو من تأثير على اصحاب الامراض العصبية والعقلية لكن في رأي بعضهم ان هذا التأثير ليس من قبل النعم لذاته ولكنه ينشأ عما يصحبه من الاهتزاز الذي هو علة اكثر الحوادث الطبيعية وقد اختبر ذلك المسيو لا بورد وهو ممن اشتهر باستخدام النعم حتى في قلع الاضراس فوضع رجلاً معنوها بحيث يتأثر باهتزازات كمنجعة عن قرب حتى كأنه هو نفسه يعزف بها فكان لذلك عليه تأثير اعظم جداً من تأثير النعم المسموع عن بعد والله اعلم

- خبايا الزوايا -

اوردنا في الجزء الثالث من هذه السنة فقرة حكيمة من كتاب ايليا النسطوري مطران نصيبين في القرن الحادي عشر للميلاد وهي كما رآها المطالع من رائق الانشاء ومحكمه لا تتخط عن اعلى طبقات الكلام في ذلك العصر الذي هو عصر الفصاحة الاسلامية ووعدنا ان ننشر ما تصل اليه يدنا من مثل ذلك بياناً لما كانت عليه اللغة في ذلك العهد من عموم الانتشار وتنازع الجميع فيها كقوس الفصاحة على السواء . وقد قرأنا في تاريخ البطارقة الانطاكيين للخوري ميخائيل بريك الكتاب الآتي من اغايوس بطرك انطاكية الى أنبا ايليا بطرك الاسكندرية وكان قد كتب اليه عند توليه البطركية سنة ٣٦٧ للهجرة (وهي سنة ٩٧٧ للميلاد) يسأله

التقدم الى اهل عمله برفع اسمه في الكنائس على ما جرى به الرسم وانفذ الكتاب على يد راهب من قبله فلما انتهى الكتاب الى انبا ايليا كتب اليه جواباً ينكر عليه انتقاله من كرسي حلب الى كرسي انطاكية في كلام لا موضع له هنا فاجابه بما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتابي ايها الاب الروحاني المشارك في الخدمة المساوي في الرتبة المتحد في الروحانية من الكرسي السليحي بمدينة الله الفائزة بفخر اسمه المحفوظة بتلميذه واول رسله يوم السبت السابع من كانون الاول عن سلامة بيع الله المقدسة واولادها قبلي وسلامي من بعدهم والحمد لله على ما من واولى وهو المسؤول ان يتم اسبال ستره على هذا الشعب وكال نعمته على هذه الامة قبلي وقبلك وقبل كل راع استرعاها في كل موضع ارتضاه بمنه وكرمه

ثم وصل كتابك ايها الاب الروحي الطاهر على يد انبا يوحنا الراهب المنفذ من مسكنتنا الى قدسك وأحطت علماً بمشتمله وسررت باخبار سلامتك وما استدلت عليه من الاستقامة قبلك ثم طار بعد ذلك فكري وتعسف ذهني وذهل عقلي وتقطعت خواطري متأملاً ما كتبتُه ومتجراً فيما اجبت به ولا ادري ما السبب الذي حملك على دفع غير مدفوع وانكار غير منكر والاحتجاج بما لا يساغ وفعل ما لا يليق . وقد كان ينبغي اذ عرفت موضع ابتدائي واشاري التبارك بشاهدتك وانفاذي رسولي اليك في وقت يكاد ان يتعذر فيه عبور الطيور من جهتنا الى جهتك فضلاً عن الكتب والرسل ألا تكتب بما كتبت به دون ان تحقق انك فيه على حق لا يُبطل وجحة لا تدفع وصواب لا يُنكر وقاعدة لا يُنسب الى اهلها هوى ولا غي ولا قصد ولا حال من الاحوال التي قدسك متبرئ منها ومترفع عنها . واما أن تذكر ايها الاب الروحاني اقتباسك عما صار اليه حالي وقلقلك مما جرى عليه امري واشارك الموت دون السماع بمثله فهذا ما كان يليق اذ لم يجز

بحمد الله هنا اراسيس ولا فساد مقالة ولا تقض سنة ولا حالة غير معروفة والذي جرى هو امره صغر حالي عنه وبعده موضعي منه لارتفاعه عني وعظمه علي وقلة قياسي به وتفاوت نقص استحقاق له الا انه لم يكن مني ولا اتى بسعي وانما هو ما اختاره اصحابي ورضي به شعبي وامضاه رؤساء الدولة وعرفه علماء الملة من المدينة العظمى التي عليها يعول ومنها يقتبس وكيف يجوز ان ينكر واحد ما يجتمع عليه هذه الطبقة وترضى به هذه الامة وهو امر مشهور عندنا ومستعمل بيننا من قديم الزمان الى حيث انتهينا

والذي ذكرت ايها الاب الروحاني في هذا الباب انا اعلم انك لم تذكره الا لبعد العهد بهذا الحال ولعدم الكتب التي تنبئ بمثله في ناحيتك ولقلة من يستعمله ويقبله في موضعك للاحوال التي دفع اليها اهل تلك الديار مما نسأل الله المعونة عليه . واذا انت رجعت للفحص عن ذلك وجدته امراً لم يبدأ منا ولا يتناهى فينا ووجدت البطرك افسطاتيوس القديس قد انتقل من اسقفية حلب الى بطركية انطاكية ووجدت ملاتيوس منقولاً من اسقفية اريصا الشام وهي الرستن الى حلب ومن اسقفية حلب الى بطركية انطاكية وقد حضر في المجمع الثاني بالقسطنطينية وهذا المجمع نقل غريغوريوس الثالولوجوس من نرينز الى كرسي البطركية بها ووجدت افدوكسيوس قد نقل من اسقفية مرعش الى بطركية انطاكية ومنها الى بطركية القسطنطينية ووجدت افسافيوس قد نقل من بيروت الى نيقيونية ومنها الى القسطنطينية ووجدت آخرين منقولين من مواضع عدة الى غيرها . هذا بعد مار بطرس السلبح الذي هو اساس البيعة ورأس الشريعة ومقامه اثني عشرة سنة بانطاكية وانتقاله بعد ذلك الى رومية وكفاك من شاهد ولو اردنا المزيد على ما ذكرناه لطال بنا القول ولكننا اكتفينا بقليل من كثير ليكون قدوة يقتدى بها واصلاً يرجع اليه وطريقاً تفسح لك في قبول القول ورفع الاسم لا سيما مع علمك بأن هذا ليس مما تدعو اليه حاجة ضرورية وانما يراد به اتحاد البيع المقدسة بالروحانية ومن طلب ان يتحد مع قدسك ويشارك في خدمتك فايس يجوز ان تنفرد عنه بالحجج

التي احتججت بها ويقوم البرهان بصحة غيرها من ذلك
وتشبيه هذا الامر بمن تزوج ابنة ثم تركها واخذ امها فقد ارتفع الكهنوت الالهي
عن ان يشبه بالتزوج البشري ولو كان الامر كذلك لكان اذا توفي اسقف وكان له
اخ يستحق الرئاسة لا يجوز له ان يأخذ موضعه كما انه لا يجوز للاخ ان يأخذ زوجة
اخيه بعد وفاته . والتشبيه بمن طلق امرأته واخذ غيرها يعد ايضاً عما نحن فيه ولا
يليق ان يشبه به والا لم يكن بالجائز للمدينة ان يصير عليها اسقفان كما لا يجوز
للرأة ان تتزوج برجلين معاً . فاما قول السيد المسيح ان من طلق زوجته فقد جعلها
زانية ومن تزوج مطلقة فانه يزني فلم يكن مقولاً على الكهنوت وانما كان كلامه مع
اليهود لما حضروا مجربين له فاراهم بعد طباعهم عما يوجبهم ناهوس الطبع اللطيف
والعقل الحصيف من المحافظة على الزواج البشري والنسك بجعله لاجل أن الاتنين
قد صارا جسداً واحداً كما قال الكتاب وان كان الامر كذلك فاية مناسبة بين هذا
المعنى وبين الكهنوت الالهي الذي هو درجات تتراقى من الدون الى التي فوقها .
واما تشبيه هذه الدرجات بطغيات الملائكة التي تحفظ كل طعمة منها موضعها ولا
تتعدى الى غيرهم فهذا ايضاً مما لا يشبه به في حال الثقلة والا لم يكن من الجائز
للاغسطس ان يرتقي ويصير ايوديا كنّاً ولا للايوديا كن ان يصير شماساً ولا للشماس
ان يصير قسيساً ولا للقسيس ان ينتقل الى ما فوق . واما تشبيهها بالنجوم والكواكب
وأن هذه لازمة لنظامها وموضعها لا ينتقل احدها الى موضع غيره فهذا ايضاً بعيد
لان الكواكب اجرام غير ناطقة رتب الباري كل واحد منها في موضعه وجعل
طبيعته لا تتغير عن حالها واما الانسان فانه جعله حيواناً ناطقاً متحركاً من حال الى
حال ومن امر الى امر والخليق به ان يكون انتقاله الى ما هو اشرف وحركته الى
ما هو اعلى فمن هذا السبب جاز له ان ينتقل وقد قامت الشواهد بهذا الحال
فاما ما التمسته ايها الاب الروحاني من احضار محضر من المدينة الشريفة يذكر
فيه كيف جرت الحالة والرضى بها فلم يجبر بذلك رسم ولا فعل هذا من تقدمني
فاعلمه انا بعده ولولا تعدد الطريق في هذا الوقت الى ما هناك لقد كان ذلك سهلاً .

واما انفاذ خطوط كهنة الكرسي وشيوخهم بالرضى فهذا نريد ان يكون لو لم يتم الامر
وحينئذ تكون الشبهة لاحقة في مثل هذا فاما بعد تمامه ومضي مدة سنة عليه فانت
تعلم بانه لو لم يحصل في الاول خطوط ويقع اجماع ورضى قبل التوجه الى المدينة
المتملكة لما كان تم الامر وكان بعد تمامه اضطراب ولم يقع بعده سكون . فحن بمحمد
الله كنيسةنا واحدة والمشاركة فيها من كل جهة واقعة والمحبة بين اولادها تامة وليس
هنا خلف ولا انفراد ولا انشقاق ولا حال فيها شبهة تحتاج الى انفاذ ما التمسته
وطلبته من مثل هذا في غير موضعه بل الاجابة الى مثل ذلك نقص واقع شبهة
والاحق بالمودة الالهية والالقي بالاحوال الروحانية ان ندع التماس ما لم تجر العادة
بالتماسه والاحتجاج بما قد بطل وبطله والرجوع الى الواجب في توكيد المودة واتمام
اتحاد الخدمة والمشاركة حتى يزول الشك ويرفع سبب الفساد ولا يقع في البيعة
انشقاق وانت ايها الاب الروحاني تأتي في ذلك الواجب . وقد اردت انفاذ البركة
على ما جرى به الرسم والعادة ولم تتأخر الالبعد الطريق وصعوبة الوقت وانا ارصد
الفرصة لانفاذها واتبارك باصدارها واني في ذلك على الرسم الذي انا قلق لتأخره
وانت ايها الاب الروحاني تأتي في قبولها عند وصولها ما جرت فيه العادة التي تتبع
الروحانيات ولا ينقصها تأخيرها ولا يزيد فيها تقديمها مع ابهاجي بكتابك عاجلا
متضمنا من اخبارك واستقامة الاحوال قبلك ما اسر به وهن حاجاتك ومهماتك ما
اقوم فيه بواجب المودة والاخوة الروحانية والمشاركة ان شاء الله

— اسطورة هندية —

ذكر ان هذه الاسطورة رويت في اثنتين وعشرين لغة منها المصرية
القديمة وكل طائفة من اصحاب هذه اللغات تتحلها لنفسها وتبذل الاسماء
فيها على ما يوافق تاريخها فرأينا ان ننقلها هنا تفكها للمطالع وهذا تعريبها
بتصرف يسير